الخطاب الرّوائي النسوي الجزائري
- مقاربات في النقد الثقافي المعاصر-

أ. نبيل حويلي/ جامعة تيزي وزو
nabil.haouili@gmail.com

الملخّص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في ميدان المقاربات النقدية المعاصرة من خلال النقد الثقافي النسوي/النسائي، هذا الحقل الذي يهتم بدراسة وقراءة كل ما تجاهلته النظريات النقدية الأدبية، والاتجاهات الحداثية العقلانية والمركزية، والمشعبة بقناعات إيديولوجية، ومرجعيات سلطوية معيّنة، لذا كان علينا أن نعالج هذا النوع من المقاربات النقدية، وذلك عبر الخطاب الروائي النسوي/النسائي الذي أردته أن يكون جزائريا.

Abstract :

This study aims to search in contemporary critical approaches through the feminist cultural criticism. This field interested with all what have been ignored in the critical theory as well as the modern rationalist and centralist trends, charged with ideological convictions and authority's background. For this reason we have to treat this kind of critical approaches by analyzing the feminist novelistic discourse from which I have chosen the Algerian one as a model.

OOO

مدخل:

إن المتتبع لمسار الدرس النقدي المعاصر يلاحظ أن هناك تزايدا واضحا وسريعا لمختلف الطروحات والمقولات النظرية النقدية الأدبية، وخاصة بعد عشرينيات القرن العشرين انطلاقا من ظهور اللسانيات الحديثة مع دي "سوسور" والاتجاه الشكلاني، وما جاء بعدهما من نظريات، ومناهج نقدية كثيرة، فتكثفت هذه الطروحات وصارت بمثابة مصطلحات يتسلح بها هذا المنهج أو ذاك، حتى يتمكن من مقاربة هذا النص بطريقة فيها الكثير من

الدقة والعلمية والعقلنة في تعامل القارئ مع النص الإبداعي سواء كان تراثيا أم معاصرا.

ومن هذه المواضيع التي لاقت رواجا كبيرا في إطار الدراسات النقدية المعاصرة: نجد النقد النسوي/النسائي، بحيث يذهب نقاد الدراسات الثقافية إلى أن هذا الحقل يهتم بدراسة، وقراءة كل ما تجاهلته النظريات النقدية الأدبية والاتجاهات الحداثية العقلانية والمركزية والمشعبة بقناعات إيديولوجية، ومرجعيات سلطوية معيّنة، وعلى الرغم من إبداع المرأة في العالمين الغربي والعربي فقد لحقها التغييب والنسيان المقصودان، فهمشت كتاباتها لفترة زمنية طويلة، لم تر الحياة ولم يعرفها القراء إلا بعد نضال وشجاعة وتحديات متواصلة عبر كل المجتمعات، ومن هنا لا بد من الوقوف عند بعض العناصر المهمة لإظهار مكونات المنهج النقدي النسوي ومدى حيادية هذه المكونات في المناهج النقدية بشكل عام والنقد النسوي/النسائي بشكل خاص عن أي توجيه قد يوجهها بطريقة ما لتجسيد قناعات معينة .

1- النقد الثقافي/الماهية والمنشأ:

1.1- الدراسات الثقافية:

يعتبر انتشار الدراسات الثقافية من العوامل المهمّة في ظهور حقل النقد الثقافي عند الغرب، حيث ارتبط بناقدين بارزين هما "ريموند وليامز" في كتابه "الثقافة والمجتمع"، و"كليفورد غيرنس" في مؤلّفه "تأويل الثقافات". والدراسات الثقافية هي اتجاه في القراءة يستفيد ويأخذ من مختلف المناهج النقدية الأدبية والتيارات الفكرية حيث تتكئ على ما يُعرف بتداخل النظريات، وذلك من أجل فهم أوسع وأعمق للجوانب المختلفة التي تحتويها النصوص الأدبية والثقافية، وبالتالي تحرير هذه النصوص من سلطة النقد البلاغي/الجمالي والإيديولوجي/المضموني.

إن الدّرس النقدي المعاصر ينظر إلى النّص الأدبي كجزء من الثقافة بما تحمله من أنساق ورموز، ويمكن اعتبارها المادة الخام لأي منتوج أدبي خاصة وأن هذه المادة هي نفسها متنوّعة وغامضة يتفاعل فيها السياسي بالاقتصادي والاجتماعي بالتاريخي والقيم الدّينية ومختلف أنماط التفكير والسلوك، ومن ثم فإن هذا التّنوّع وهذه التعددية يفرضان تعددا على صعيد المقاربة النقدية،

ذلك أن المعايير الأدبية الجاهزة أدّت إلى وجوب إعادة النظر فيها ومضمون الثقافة بشكل خاص لاسيما عندما اتضحت هيمنة طروحات وتصوّرات جديدة كالتي قدّمها "غراميش" "وفوكو" حول مضمون الثقافة وعلاقتها بالفرد والجماعة، فالثقافة لم تعد تعبيرا عن الذات الفردية، بل هي تتداخل مع عدة قوى اقتصادية واجتماعية وسياسية، وبالتالي فهي تعيش صراعا داخليا قويا مع هذه القوى.

لقد أجمعت العديد من الدراسات أن الثقافة تميل إلى الهيمنة والاستلاب والاستعلاء ظاهريا ولكنّها ضمنيا تحتفظ بالكثير من الممارسات كشكل من المقاومة والرفض لهذه الهيمنة والتسلّط، لذلك، فالدراسات الثقافية يهمّها أن تبحث في هذا الإطار، أي تتقصّد دراسته، وكشف مظاهر هذا الرفض والسلوك المقاوم[1] حيث ذهب "أندري يولس" إلى القول: إن الثقافة، ومع كل التعريفات التي صيغت حول مفهوم الثقافة، فإنه يصعب تحديدها بدقّة لأنّها مرتبطة بالإنسان كحيوان عاقل من جهة، وبتجربته الحيوانية منذ ولادته عبر تفاعله مع غيره في الوسط الاجتماعي من جهة أخرى، فمفهوم الثقافة صار يشمل كل الوسائل والسبل التي تجعل الأفراد يحافظون على نشاطهم اليومي، وتوزيع ما ينتجه هذا النشاط فيما بينهم على صعيد العائلات والمجموعات والقبائل والتجمعات السكانية المختلفة تجنّبا لأية فوضى قد تؤثّر سلبا على هذا النظام المعيش المنظم لحياتهم ولو نسبيا، إذ أن كل فرد منهم بوعي منه أو بدون وعي يمارس رقابة صارمة بواسطة هذا النّظام تجاه غيره والعكس صحيح، خاصة على المستوى الأخلاقي والعقائدي، كما تعي الثقافة كذلك الإشباع الفني بأداة تواصلية تحقق التعايش بين الأفراد.[2]

ومع كل هذا التظاهر الذي يوحي بنظام حياتي مقنع، فإن الفرد يتعايش في الوقت ذاته مع ما يسمى بقمرية الثقافة، إذ هو يعمل على احترام هذا النظام الحياتي فيلتزم بكل واجباته تجاه الأسرة والمجتمع على السواء، فإنّه وفي العديد من المرات هو يرفضه بداخله لأنّه في حقيقة الأمر لم يشارك في وضعها، فهي موجودة قبله، وموجودة خارجا عنه، فالرّموز المختلفة التي نستعملها يوميا للتعبير عن رغباتنا وأفكارنا، والعملات التي نسدد بها ديوننا في الأنشطة الاستهلاكية والتجارية، وكل ما نسلكه في الوسط المهني، كل ذلك موجود بشكل مستقلّ عن أهدافنا والاستعمالات التي وُجدنا من أجلها.

2.1- خصائص الدراسات الثقافية:

- تعمل الدراسات الثقافية على تجاوز الحدود الفاصلة بين التخصصات كالنقد الأدبي والتاريخ، بل تعمل على مزج كل ذلك واستغلاله لفهم حقيقي للظواهر التي تستهويها، لذلك تلجأ إلى بعض إجراءات المناهج النقدية المعروفة كعلم النص والسيميولوجيا، والتفكيك، والتداولية، والنقد الحواري وغيرها.
- تتميّز الدراسات الثقافية بالتزامها السياسي (engagement politique) فالناقد الثقافي يعرف أنّه في صراع مع بنيات القوى الاجتماعية، من هنا فهو يسائل اللاتكافؤ في البنى الاجتماعية، ساعيا إلى تفكيك العلاقة بين الثقافة المهيمنة والثقافة المهيمن عليها. يحاول الناقد الثقافي إذن معرفة ما تنطوي عليه القيم السياسية والاجتماعية والإنسانية التي تستخلص من خلال قراءة عمل أدبي، فوجود الناقد قريبا من الأساس المادي للثقافة هو الذي يفرض عليه أخلاقيا الإدلاء بالأحكام بصدد أنساقها السياسية والاجتماعية وفضح أسرارها وتعريتها.
- ترفض الدراسات الثقافية التمييز بين النصوص الرفيعة والأخرى التي نعتت بالدونية، وكذلك لا تفرّق بين ثقافة النخبة وثقافة العامة، لأنّها ترى أن كل الأعمال الثقافية هي ممارسة خطابية، ومن ثم لا يمكن معرفتها إلاّ في علاقتها مع ممارسات ثقافية أخرى، كما رفضت هذه الدراسات أيضا ما يسمّى بالأدب المعتمد أو المكرّس أو أدب المركز، فيمكن مثلا أن تكون حكاية شعبية ما أفضل جماليا من مسرحية "شكسبير" أو إحدى روايات "همنجواي" أو "كافكا"، وهذا ما يبرّر لماذا يرفض نقاد الدراسات الثقافية الأحكام التي تطلق على الثقافة الشعبية المقررة كمادة في الجامعات ومراكز البحث الرسمي، فهي أحكام غير مقنعة، لأنّها غير بريئة لكونها نتاج لأنساق ثقافية سائدة تغذي أصلا هذا التهميش والإقصاء الذي يتقصد هذه الثقافة بالذات.
- إن الدراسات الثقافية لا تعمل فقط على تحليل المنتج الثقافي كما هو، وإنّما تبحث عن أدوات إنتاجه والعوامل المتحكّمة في ذلك الإنتاج، وهنا تتقاطع مع النّقد الماركسي الذي تساءل عن منابع الخلق الأدبي،

وناقشوا الجمهور الذي يتوجّه إليه وتسألوا عن وظيفة الكتاب وأشكال ترويجه، كما تقرر هذا الخط مع نقاد الدراسات الثقافية في الثمانينات الذين تأثّروا بما بعد البنيوية الفرنسية عندما أكّدوا على عدم وجود بنية اقتصادية مادية تحتية تسبق الخطاب والثقافة، ومن هنا يصير الخطاب الثقافي حقلا مستقلا وهو الذي يشكّل ركيزة الوجود الاجتماعي والفردي؛ لذلك تهتمّ الدراسات الثقافية بمساءلة التأثيرات والقيم والتقاليد التي ترعاها بنية ثقافية معيّنة بعيدة عن الانعكاسية والمحاكاة، فالبنية الثقافية لا تصوّر الوجود الاجتماعي بطريقة آلية، وإنّما تصنعه وتكوّنه كمجموعة من التمثيلات (representations) التي تستمد تأثيرها من المجالات السياسية والاجتماعية والتعليمية.

- إنّ التحليل الثقافي يختلف عن النّقد الأدبي، إذ لا يهتمّ بالعناصر الداخلية للنّصّ الأدبي وإلى إبراز أدبية النص وإنّما يتجاوز ذلك، ليظهر الدور المزدوج الذي يلعبه الأدب، سواء في تعميق مصطلح الهيمنة وتدعيم وسائله أو في مقاومته وفضح خطابه المقنع، فالناقد الثقافي لا يبحث في أدبية النّص وجمالياته، وإنّما ينقّب عمّا يتخطى وراءها من أنساق ثقافية متعددة ويمكن أن تمثل عربيا بكتاب النقد الثقافي للناقد السعودي "عبد الله الغذامي"، والناقد المصري "حسن البنا" في مؤلفه "الشعرية والثقافة"، ودراسة الناقد العراقي "عبد الله إبراهيم": "السردية العربية الحديثة"، وكذلك الناقد البحريني "نادر كاظم" في كتابه "تمثيلات الآخر".[3]

وعليه فإن النقد الثقافي عند الغرب هو تحوّل التفكير نحو الخطاب باعتباره فعالية إنتاجية أسهمت في ميلاده وخاصة في بداية الثمانينات، عندما تعرّضت الدراسة الأدبية لتحول مفاجئ وعالمي على الصعيد النظري وحققت كذلك تحولا مماثلا تجاه التاريخ والثقافة والمجتمع والسياسة والمؤسسات وظروف الطبقة والجنس والسياق الاجتماعي والقاعدة المادية، فصار التحوّل من اللغة والنص إلى الخطاب رهان النقد الثقافي، بتياراته المتعددة التي حاولت مقاربة المسكوت عنه في الثقافة ممثلا في الجنس والدّين والسّياسة والتاريخ.

وبعد ذلك انشغل نقاد النقد الثقافي بهاجس إكساب النص حضورا ماديا وسياسيا وثقافيا في العالم باعتماد مفاهيم عديدة مثل "دنيوية النصوص"

عند "إدوارد سعيد"، وبروتوكول التورط عند الناقد "فنسنت لينتش" وغيرها من المفاهيم التي عزلت النص عند الحقل الثقافي وإدماجه في دائرة الصراعات والأنساق والمؤسسات ليأخذ موقعه في هذا العالم، ولن يتأتى له ذلك إلا بتقليص الاهتمام المفرط بالأدبية، مقابل الحفر في ما وراء الأدبية، فتتوسّع دائرة النص الأدبي لتشمل كل ما هو خطابي من أدبي وغير أدبي وكذلك ما هو غير خطابي المرتبط بالأحداث والمؤسسات والممارسات الاجتماعية، فيصبح النص من منظور الدراسات الثقافية حاملا لقيم جمالية وثقافية باعتباره ممارسة دلالية وخطابية، أي حادثة ثقافية وليس متجليا أدبيا فحسب، لذلك صار النص الأدبي يتداخل ويتفاعل بل ويتطفل على أسئلة السياسة والسلطة والدين والتاريخ والجنس والمهمش، وكل ماله تأثير عميق في حياة الأفراد والجماعات باسم جمالية تقليدية سلوكية ومركزية ضاغطة تغيّب البعد الثقافي.

2- الأدب والمرأة:

يذهب نقاد الدراسات الثقافية إلى أن هذا الحقل يهتم بدراسة وقراءة كل ما تجاهلته النظريات النقدية الأدبية والاتجاهات الحداثية العقلانية والمركزية والمشعبة بقناعات إيديولوجية ومرجعيات سلطوية معيّنة، وقد قوبل إبداع المرأة في العالمين الغربي والعربي بالتغييب والنسيان المقصود، فهمشت كتابات المرأة لفترة زمنية طويلة، لم تر الحياة ولم يعرفها القراء إلا بعد نضال وشجاعة وتحديات متواصلة عبر كل المجتمعات وإلى اليوم، لذلك يصعب على أي دارس أن يدقق في ما تبدعه المرأة، يقال عنه أدب نسوي أو أدب نسائي؟ وهذه الإشكالية معقدة جدا ترتبط دائما بموقع المرأة في المجتمع الذي يوظف كل الوسائل لتصميتها وبالتالي إخفائها حضورا وصورة ورغبة، لأنها منبع مباشر للفتنة عبر مختلف المراحل التاريخية خاصة أن المرأة وبالخصوص المرأة العربية لم تكن علاقتها بالكتابة الإبداعية ذات طبيعة واحدة وثابتة عبر التاريخ بل تميّزت بالتغيّر والتنوّع والتطوّر بحسب الشروط السوسيو-تاريخية للمجتمع العربي انطلاقا من الجنس الشعري وفي بيئات معيّنة، لنمثل بالخنساء وموقعها في الشعر العربي القديم وخاصة عند أبي نواس وصولا إلى البيئة الأندلسية التي احتضنت صوت المرأة الإبداعي، وقد هيمنت أغراض محدّدة على إبداعها الشعري مثل غرضي الرثاء والغزل وكأن البكاء والحزن والاستعطاف صفات مرتبطة فقط بالمرأة.

ولأن التاريخ لا يؤكد بدقة أولى الكتابات المتّصلة بالمرأة بسبب تدخل عنصري التدوين والتأريخ اللذين كانا يتحكم فيهما الرجل، وحتى في العصر الحديث، لجأت النساء إلى النضال السياسي والاجتماعي وإلى الإبداع الشعري للمطالبة بحقوقهن كما تبين ذلك مجلة المؤيد المعربة، ولكن عوامل كثيرة أسهمت في تهميش هذه الإبداعات وعدم توثيقها حيث أن معظم المبدعات بدأن الكتابة عبر صفحات الصحف والمجلات فأتلفت أسماء عديدة، وكانت مصر بحكم مجموعة من المكونات التاريخية والفكرية والثقافية مرجعية واضحة بالنسبة لبعض البلدان العربية الأخرى، وعليه فإن علاقة المرأة بالكتابة في مصر وبلدان المغرب الكبير والخليج ارتبطت بشكل كبير بالتطور الاقتصادي والتنموي والانفتاح على العالم الخارجي في حين أن هذه الكتابة ارتبطت بالقضية الفلسطينية في فلسطين والأردن.

ويظهر أن انتشار الكتابة بأقلام نسوية كان في أواخر القرن التاسع عشر، عندما انفتحت المرأة العربية على الثقافة الغربية وخاصة ما تعلق بقضية تحرير المرأة الغربية الذي عمل على نشر مجموعة من المبادئ التي لقيت صدى واسعا في الوسط النسوي كوجوب تعلم المرأة وخروجها إلى العمل، فكان طبيعيا أن مثل هذا الخطاب لم يستوعبه الرّجل العربي بسهولة.[4]

3- الأدب النسائي/إشكالية المصطلح:

تذهب الناقدة "يمنى العيد" إلى تبني مصطلح الأدب النسائي ولا تهتمّ كثيرا بمصطلح الأدب النسوي، مع أن المصطلحين يندرجان ضمن إبداع المرأة.

فمن مسوغات تبني الأدب النسائي عند هذه الناقدة إعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية في مجال الإبداع الأدبي، ولا يقصد به المفهوم الثنائي أنثوي/ذكوري وكأن نتاج المرأة يتضاد مع نتاج الرجل. فالأدب النسائي يعود إلى المراحل التاريخية الأولى للتراث العربي حتى ما قبل الفتوحات الإسلامية وخاصة في مجال الإبداع الشعري.

كما أن تحرير المرأة مرتبط بتحرير الوعي الجمعي من ذاك الموروث السلبي الذي يكرّس ضعفها ودونيتها لقرون طويلة، فكانت النهضة الثقافية العربية وسيلة لإدراك المرأة لضرورة تحررها، والتقى خطاب الرجل وخطاب المرأة في وجوب تغيير الوعي الجمعي السائد ورؤية الإنسان لذاته وللعالم كما فعل الرجل، فتوسع من مساحة الكتابة والظهور أكثر، وبالتالي تدافع عن هويتها

الأنثوية التي تتمتع بميزات خاصة، ومن هنا تواجه هذا الآخر، القامع والمسيطر وصاحب السلطة.

فالضدية كما تذهب"يمنى العيد" هنا قائمة على الحرمان والقمع والتسلط وليس على حد الذكورة والأنوثة كتمايز في البنية الفيزيولوجية والأصل الجنسياني، وبالإضافة إلى هذا الخطاب المضاد الذي يجعل المرأة من باب التمايز القمعي في موقع الدونية، نجد كذلك أن هذا التقاطع واللقاء على صعيد الكتابة بين المرأة والرجل يمس قوانين الإبداع الأدبي وقواعده النوعية الموروثة من التراث العربي والمتأثرة بأدب الغرب وثقافته وخصوصا في مجال الرّواية، فالأمر هنا أيضا يتعلق بتاريخية الأدب وأدبيته وليس بذكورة وأنوثة منتجه.[5] وخاصة مع تطوّر الكتابة الروائية الغربية وأثرها على الرواية العربية عند المبدعين والمبدعات في إطار التجريب الروائي.

أما عن مصطلح الأدب النسوي (la littérature féminine) فيقوم على المفارقة اللغوية مع تشكله كخطاب مضاد، فهو خطاب مضاد بعلاماته اللغوية المؤنثة، وهذا ما يرشح لأن يأخذ التضاد هنا، طابعا لغويا عن مبدأ التأنيث والتذكير وليس دلاليا.

ولكن يظهر أن هذا الطرح لا يقنع الكثير من الدارسين، لأن الخطاب المضاد هو خطاب صراعي تحقق تاريخيا ليس بين الذكر والأنثى ولا بين الضمائر المؤنثة لغويا، بل بين تياري التقليد والتجديد، بين الثبات وتكريس القيم التي تخدم سيادة السائد وبين التغيير لزعزعة هذا السائد بتفكيك سلطته، ذلك أنه حتى وإن كان الرجل يصنع خطابا مضادا، فإنه لا يصنعه على حد ذكورته، بل انطلاقا من المنظومة القيمية الثقافية والذكرية المكرسة في المجتمع.

وفي الأخير فإن "النسائي" في كتابة المرأة العربية لا يعني الخطاب المكتوب ضد الرجل الإنسان من خلال العلاقة بين الذكورة والأنوثة، بل هي تكتب ضد قناعات السلطة الذكورية، لتدافع عن "الأنا" الأنثوية لتحقق هويتها المجتمعية والإنسانية، فهي لا تواجه الرجل الإنسان، بل ذلك المستبد والقامع والمسلط عبر مختلف المراحل التاريخية عندما ينتقل موقعه في مجال معين.[6]

كما أن الكتابة النسائية تحيل الدارس إلى مقاربة حقيقة ما تكتبه المرأة عن عالم يسيطر فيه الرجل، وعن علاقتها بهذا العالم المشترك. والكتابة النسائية كمصطلح إجرائي نميّز به بين الكتابة التي تكتبها المرأة والكتابة التي

يكتبها الرجل، فالأدب لا جنس له والمشاعر الإنسانية لا خريطة لها، قد تتوزّع بين الأنوثة والذكورة، فهي كتابة تعيد رسم خريطة المفاهيم لتخترق بها دائرة المكبوت والمسكوت عنه.[7]

4- النقد النسائي والنقد النسوي/إشكالية المفهوم:

لقد انطلقت أسئلة النقد النسائي من إشكالية الهيمنة الذكورية/الرجولية المتسلطة على الحرية الثقافية للمرأة وهويتها، متجاوزا المطالبة بالتموقع الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي التي يدافع عنها النقد النسوي؛ لأن النقد النسائي مطالبه رمزية ثقافية لمواجهة ثقافة وقيم ذكورية مهيمنة، ويرتبط هذا التوجه كذلك بالنقد الأدبي كممارسة حيث صار مجالا للهيمنة الذكورية يعبر عن قيم الرجل وعقليته ويجعلها تتصدر رؤيته إلى الإبداع الأدبي، الأمر الذي فرض إعادة النظر في نقد النصوص الأدبية، بوجوب تقديم تغيير نسائي لهذه النصوص والكشف عن المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالمرأة في النقد الأدبي، فالمهم ليس جنس الناقد، بل المنهج الموظف في مقاربة إبداع المرأة.[8]

أما النقد النسوي فهو ذلك الاتجاه ضد تسلط الرجل على المرأة بسبب اختلافها البيولوجي عنه فهو الأقوى والأحسن، لذلك يناضل النقد النسوي ضد مختلف أشكال السيطرة والتهميش والإلغاء التي يمارسها على المرأة، فهو كذلك الاتجاه الذي يدخلها في غمار الممارسة النقدية، باعتبار أن معظم الكتابات الرجالية تدور حول المرأة، فتتفحصها وتراجعها بدقة. ولقد انتشر هذا النقد بشكل واضح في أواخر الستينيات خاصة في العالم العربي ومن منطلقاته المتداولة، نجد انتشار الثقافة الأبوية، أو ثقافة الذكر كمركز يمارس كل أشكال التعسف على وجود المرأة ويقرّ بدونيتها في كل المجالات الحياتية الخاصة والعامة، لأنها ضعيفة وعاطفية تابعة للعادات والتقاليد الموروثة مما أدى إلى تغييب المرأة قارئة أو كاتبة وحتى ناقدة.

وهكذا أسهمت كل هذه العوامل في تكثيف وتنشيط الحركات النسائية فظهرت مؤلفات كثيرة تعيد النظرة الإيجابية على تجليات العالم الداخلي للمرأة بجوانبه العاطفية والشخصية على صعيد القراءة النقدية التي تبدعها المرأة، وأخيرا يهدف النقد النسوي إلى الكشف عن المميزات الخاصة للغة المرأة

وأسلوبها لإرساء أسس التجربة الأنثوية المختلفة عن الذكر في التفكير والشعور والتقييم ثم إدراك الذات والعالم الخارجي.[9]

وعليه فإن النقد النسوي بعامة يتعرّض بالدراسة والتحليل والنقد للأدب النسوي المرتبط بحركات النساء المطالبة بالحرية والمساواة في كل الميادين الحياتية، فيدافع عن قضية المرأة وحقوقها، في ضوء معطيات الوعي الحديث بقضية المرأة، وتجسيدها عبر إبراز الفوارق الجنسية بين الرجل والمرأة، لأن لكل جنس هويته الخاصة به.

5- النص الأدبي ومغالطة ثنائية الذكر والأنثى:

لقد ناقش الناقد والمبدع المغربي المعاصر "أحمد المدني" مصطلح الأدب النسوي انطلاقا من ثنائية الذكر والأنثى أي بواسطة طرح السؤال عن مدى صواب هذه التسمية: الأدب النسوي، فالناقد يذهب إلى أن انتشار المصطلح جاء بفضل الوسائط الإعلامية المختلفة متأثرة بالثقافة الغربية عبر الحركات النسائية العالمية المطالبة بحقوق المرأة خاصة بعد خمسينيات القرن العشرين في أوروبا وأمريكا، فهي حركة حقوقية مطالبها تخص الحقوق المشروعة للمرأة في كل المجالات الفردية والمادية والمعنوية، فالمصطلح يحمل الكثير من اللبس والغموض والشمولية والعمومية، وانتشاره وتداوله سبب إعلام تجاري جامد يتجاوز مبادئ وحقوق النقد الأدبي الحقيقي، فالنص الأدبي كمنتوج لا يهم من أنتجه ذكر أم أنثى، لأن الاختلاف هنا بين المنتوجين طبيعي بسبب اختلاف الحساسيات الذاتية والحوافز الشخصية والرؤية إلى العالم عند الجنسين، لذلك على الناقد الحقيقي أن يحتاط في تعامله مع أي نص أدبي لأن أي نص لا يصح أن يكون ذكرا ولا أنثى، هو نص فقط. لأن رهان الكتابة ليس غواية جنسية ولا جنسانية بين مذكر ومؤنث[10] وإلا يقع النص في مأزق الإعلام المبتذل والتسويق التجاري المحض على حساب أدبية النص وأبعاده الجمالية المختلفة كجزء من سياق ثقافي واجتماعي وسياسي في مرحلة تاريخية معينة.

6- علاقة الإبداع النسوي بمسألة التحرّر:

تشير العديد من الدراسات أن علاقة المرأة العربية بالكتابة قد ارتبطت بمقاومتها للعادات والتقاليد والفكر الماضوي المختلف وقصر الرؤية تجاه المرأة، وخصوصا مع كتابات "عائشة التيمورية" في أواخر القرن التاسع عشر، هذه الكاتبة التي طرحت المسألة النسائية، وكان زمنها قد بدأ يشهد "سؤال الأنثى"،

فتحولت وظائفها ومواقعها في المجتمع، لتنتقل المرأة من البيت/الداخل إلى فضاءات العمل والإبداع/الخارج.

وهكذا وإلى غاية الأربعينات من القرن العشرين تطور سؤال المرأة المبدعة ولاسيما مع نماذج نسوية معروفة "كمي زيادة" التي حاولت أن تغير الرؤية السائدة في الثقافة العربية آنذاك، مع أنها كشفت أن ثمة عقليات متصلبة ومحافظة ترفض أي موقع للمرأة يخرج عن دائرة المتعة والطاعة، وفي هذه الفترة لم يطرح مشكل الإبداع النسائي لأن السؤال انصب على الكاتبة كامرأة حررت المجلس الثقافي، وفرضت واقعا جديدا ولم تطرح بعد مسألة استقلالية المرأة الكاتبة كذات منتجة للمعرفة والمعرفة بالأنا، الضمير الأنثوي الحر في القول والكتابة والحياة، وقد مثّلت هذا الخط الكاتبة "ليلى بعلبكي" التي نقلت المرأة من موضوع إلى ذات، فراحت تبحث عن هوية مستقلة، وكان ذلك بعد أن اجتاحت المرأة عالم التعلم والثقافة ودخلت الجامعة وشاركت في الحركات الجماعية والتظاهرات المختلفة في المشرق ثم في المغرب مع كتابات "آسيا جبار"، وهنا بدأ الاهتمام بالرواية ترغب وتثور وتنتج ومثالنا على ذلك كتابات المؤلفة "نوال السعداوي".[11]

7- المرأة والكتابة/مظاهر الاشتغال:

لقد ولد اشتغال المرأة بالكتابة مجموعة من المظاهر التي تستوقف الباحثين والنقاد كلما تصدوا لقراءة مختلف أعمال المبدعات، ولعل من هذه المظاهر، نجد الاختفاء وراء اسم مستعار، وهي ظاهرة عرضها الغرب مع كاتبات نساء ومع كتاب رجال كذلك لعوامل اجتماعية ونفسية أكثر منها عوامل سياسية أو فكرية كما عرفنا ذلك مع الناقد الروسي "ميخائيل باختين" مثلا، ويكون هذا التخفي في مرحلة تاريخية معينة، وخاصة في دول الخليج والجزائر والمغرب وتونس، فربما يعود ذلك إلى نقص الشجاعة الكافية لكشف الاسم الحقيقي، لذلك كانت أكثر الكتابات مرتبطة باليوميات والمذكرات والرسائل، وهي أنواع مرتبطة بالذات الكاتبة بعيدة عن الجمهور، ويمكن أن نضيف ظواهر أخرى قد نفصل فيها في الجزء الثاني من هذا البحث عبر المقاربة النصية، كضبابية الحكي، والتعامل مع أجناس أدبية دون أخرى، كالخواطر والشعر والقصّة القصيرة والمقالة الصحفية ثم الرواية، خاصة وأن هذا الجنس كشكل أدبي يشخص وعي المبدع في طريقة تعامله مع مختلف أشكال الوعي السائدة والمحتملة، وطبيعة تفاعله مع النصوص ومحاورته إياها، وتعدد الأصوات

واللغات أي حضور مساءلة وعي المرأة عندما يستقبل ويتفاعل مع أنماط أخرى من الوعي، بالاضافة إلى موضوع إثبات وجود المرأة وكشف الموضوعات المسكوت عنها.[12]

مستخلصات البحث: ومن جملة مستخلصات البحث ما يلي:

- إن الأدب النسوي هو الكتابة عن وجهة نظر نسوية، فهي كتابة ملتزمة بالقضية النسائية سواء أكان الكاتب امرأة أم رجلا، فالأدب النسائي يحتوي الأدب النسوي، ولكن العكس غير صحيح.
- يهدف النقد النسوي إلى الكشف عن المميزات الخاصة بلغة المرأة وأسلوبها لإرساء أسس التجربة الأنثوية المختلفة عن الذكر في التفكير والشعور والتقييم ثم إدراك الذات والعالم الخارجي.
- إن الكتابة النسائية كمصطلح إجرائي نميّز به بين الكتابة التي تكتبها المرأة والكتابة التي يكتبها الرجل، فالأدب لا جنس له والمشاعر الإنسانية لا خريطة لها، قد تتوزّع بين الأنوثة والذكورة.
- إن النقد النسوي هو ذلك الاتجاه الذي يكون ضد تسلط الرجل على المرأة بسبب اختلافها البيولوجي عنه فهو الأقوى والأحسن، لذلك يناضل النقد النسوي بمختلف أشكال السيطرة والتهميش والإلغاء التي يمارسها على المرأة.
- يتعرّض النقد النسوي بصفة عامة بالدراسة والتحليل والنقد للأدب النسوي المرتبط بحركات النساء المطالبة بالحرية والمساواة في كل الميادين الحياتية، فيدافع عن قضية المرأة وحقوقها، في ضوء معطيات الوعي الحديث بقضية المرأة، وتجسيدها عبر إبراز الفوارق الجنسية بين الرجل والمرأة، لأن لكل جنس هويته الخاصة به.

الإحالات:

[1] انظر: إدريس الخضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، جذور للنّشر، ط 1، الرباط، 2007، ص ص 36-38

[2] André Jolles: Formes simples, traduction : Antoine Marie Buguet, Seuil, Paris, 1972, pp 103-134

[3] انظر: إدريس الخضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، ص ص 36-40.

[4] انظر: زهور كرام، السرد النسائي العربي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2004، ص ص 41-47.
[5] انظر: يمنى العيد، الرواية العربية، دار الفرابي، بيروت، ط 1، 2011، ص ص 137-143.
[6] انظر: المرجع السابق، ص ص 144-146.
[7] انظر: عبد النور إدريس، النقد النسائي والنوع الاجتماعي، سلسلة دفاتر الاختلاف، مكناس، ط 1، 2011، ص ص 20، 29.
[8] انظر: نفسه ، ص ص 176-177.
[9] فيصل الأحمر/نبيل دادوة، المرجع السابق، ص ص 293-295.
[10] انظر: أحمد المدني، وهج الأسئلة، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2010، ص ص 44-46.
[11] انظر المرجع نفسه، ص ص 47-54.
[12] انظر: نفسه، ص ص 55-64.